

## القضاء الجزائري في صلب معركة الحبر على الفكر

سعيد جاب الخير

باحث متنور أم زنديق متهور؟



● أبرز مواقف جاب الخير دعوته إلى تنظيم فعاليات موسيقية في المساجد، واعتباره الحج طقساً وثقافياً، فضلاً عن تساؤله عن النبي محمد، قائلا "إذا كان النقد الديني خطيئة، فلماذا كان الرسول ينتقد دين قريش؟".

يتعود عليه الناس نادراً ما يرضي الناس. من حق الناس أن يردوا عليه ولكن الفكر يرد عليه بالفكر.



**قانون العقوبات الجزائري ينص على معاقبة كل من يستهزئ بالدين أو الرسل بالسجن لمدة من ثلاث إلى خمس سنوات، وبغرامة مالية، أو بإحدى العقوبتين، لكن جر الباحث جاب الخير إلى المحاكمة أثار جدلاً بين النخب التي تتبنى الحداثة**

وتلفت إلى أن الفكر المبدع لا يتزعزع إلا في جو الحرية الفكرية، والجزائر في مرحلة حاسمة من تاريخها تحتاج إلى كل مفكرها. يكفي أن ننظر حولنا لنذكر أن الدول المتقدمة لم تتقدم إلا بمفكرها وذلك في جميع الميادين. ويكفي أن نسال التاريخ ليقول لنا إن المسلمين بنوا حضارة رائعة لما كان الفكر حراً وكانت المجلات والمناقشات تجري في كل مكان، وقضوا على تلك الحضارة لما اتهموا الفكر بالكفر وسجنوه وقتلوه.

أما الأديب والروائي أمين الزاوي فقد قرع أجراس الإنذار بقوله "حذار، هل بدأت أفغنة الجزائر وطلبتنا؟" هل انطلقت جحافل محاكم التفتيش الجديدة؟ هل هي عودة رياح أجواء سنوات التسعينات؟

وظيفة الدولة، كما يرى كل هؤلاء من نخب الجزائر، ليست حماية الله ولكن حماية حياة المواطنين وأعراضهم، وواجب الدولة أن تتدخل إذا كان هناك من يدعو لقتل الناس أو يحرض منطقة ضد منطقة أخرى. أما مسألة الله فهي ليست ملكاً لأحد وليست للدولة.

الخلاف، وأصبح الأمير يسمى خليفة رسول الله، مع أن الرسول نفسه لم يترك سلطة لأحد". وحسب جاب الخير، إن جنود التيار السلفي لتمتد إلى الفقهاء الذين كانوا ينتجون أيديولوجية الدولة العربية التي كانت تحكم الجزائر وشمال أفريقيا باسم المركزية المشرقية الأموية، وذلك قبل أن تحدث ثورات كثيرة أطاحت بالسلطة العربية لتؤسس الدولة الرستمية، ثم الدولة الفاطمية، ثم الدولة المرابطية، ثم الدولة الموحدية، ثم الدولة الزيانية، وكلها دول أمازيغية كانت تحكم من منطلق ديني إسلامي، لكنها كانت مستقلة غالباً عن المركزية المشرقية.

وترى رزيقة عدنانى المختصة في الفلسفة الإسلامية أن "الفكر لا يوضع في السجن، ولا يُمنع عن الكلام بالعنف، ولو لم تتفق معه لأنه روح المجتمع ومصدر ديناميكيته وحيويته. لا يمكن أن تفكر لحظة في إسكاته، لأن ذلك سيسكت كل المفكرين، أي كل الفكر. وكيف تكون حالة المجتمع الذي ليس فيه مفكرون ومبدعون؟ إن حبس المفكر ومنعه عن الكلام معناه واد للمجتمع".

وتذكر عدنانى بان جاب الخير باحث والباحث طبيعته يقول كلاماً جديداً أي كلاماً لم يتعود عليه الناس وإلا لما كان باحثاً، والكلام الذي لم

بضاعتهم، على فسادها، بينما لا يملك التنويريون ذلك، رغم بهاء البضاعة". ويشير بوكبة إلى أن استفزاز الضمير الديني العام بلهجة عارية لا يؤدي إلا إلى عكس المراد. وأن القفز على الأولويات في التنوير يجعله في نظر الناس حركة غريبة - تغريبية وجب القضاء عليها، فيخسر التنوير وحامله معاً. ويلفت المتحدث في منشور له "علينا الانتباه إلى أن السلطة السياسية، من خلال منابرها المختلفة، تستغل فرصة الهجوم الشعبي على مسعى تنويري ما، فتجامل الشارع، بانخراطها في تشويبه والتشهير به، من باب مساعها إلى المتاجرة بالدين، فالحكومات البوتفليقية المتعاقبة كانت تغطي على الزيادة في أسعار شهر رمضان، وتقاعسها عن مراقبة الجودة والصالحية، بتعقيبها لحفنة من المهاجرين بالإفطار في الفضاءات العامة. وإذا كان ثمة تنوير نحن بحاجة إليه، في شأننا لقيم الحوار والانفتاح والتعايش والاختلاف والتعدد والديمقراطية والحق في التعبير والكتابة والإبداع".

## هل بدأت أفغنة الجزائر؟

إذ انتقد جاب الخير "قومجة" الإسلام من طرف العرب، فإنه أبان عن لهفة للقومية غير العربية، ما أسقطه في فخ دلجة الدين بحسب خصومه، وذكر في أحد حواراته أن الفكر السلفي انطلق مباشرة بعد وفاة رسول الإسلام، ويضيف "شهدنا جيوش المحدثين الذين راوحوا ينشرون أحاديث أغلبها مذبذب ومختلف من أجل تأييد أيديولوجيا الدولة العربية المركزية أو ما يُدعى بدولة الخلافة، التي تحالف فيها الفقيه مع الخليفة"، مشدداً على أن الإسلام لا علاقة له بالدولة والسياسة، بل هو رسالة روحانية بامتياز، لكن المسلمين انحرفوا بها وحولوها

إلى مشروع سياسي أطلقوا عليه تسمية

## معركة صائبة بسلاح خالص

في خضم حملة الجدل التي أثيرت حول المحاكمة المنتظرة، يقول الإعلامي والأديب والناشط الثقافي المستقل عبدالرزاق بوكبة "كنت أقول له إن كثيراً من الصواب والمنطق يضع في الطريق غير المدروس. وإن بعض التنويريين مطالبون بأن يدرسوا المزاج العام الذي يتحركون داخله، حتى يستطيعوا تجنب الفخاخ الجاهزة، منها التكفير. ذلك أن الشجاعة الفكرية لا تعني التهور، وأن ينتبهوا إلى مفارقة غير مرصودة كثيراً، هي أن المتطرفين دينياً يحسنون تقديم

وينص قانون العقوبات الجزائري على معاقبة كل من يستهزئ بالدين أو الرسل بالسجن لمدة من ثلاث إلى خمس سنوات، وبغرامة مالية، أو بإحدى العقوبتين، لكن جر الباحث جاب الخير إلى المحاكمة أثار جدلاً بين النخب التي تتبنى الحداثة، والتي عبرت عن رفضها لمحاكمته وحذرت من مغبة الانزلاق في حقبة جديدة مما أسمته بـ"إرهاب الفكر والراي".

وعلى النقيض من رموز التيار التنويري في الجزائر والعالم العربي، على غرار مالك شبيل، محمد أركون، ومحمد شحرور الذي أحدث ثورة في الفكر الديني من خلال القراءة التي قدمها للعالم الإسلامي قبل رحيله، فإن جاب الخير ظل يفتقد لإليات وحجج النكتم في المواجهة سواء بالإنعاز أو بإسكات الخصوم، فافكاره ومنشوراته على منطقيتها المفترضة ظلت حبيسة سلوك افترازي للإجماع المتراكم وتصل أحياناً للتناقض في ما بينها، أو حتى العجز أمام الراي العام على الرد عن حجج إخوانيين بارزين كعبدالرزاق مقري وأبوجرة سلطان في مسائل دينية مختلفة.

خاض في العديد من المسائل والقضايا الدينية، على غرار الميراث والصيام والأضحية والحج، والنصوص المعروفة بالصحيح، وانحياز علماء الدين القدماء للقبيلة والقومية والدولة السياسية، وجرم التاريخ الإسلامي والفتوحات، الأمر الذي أثار ضده موجة من الاستياء والغضب خاصة لدى التيارات الإسلامية المحافظة.

وهو يقول إن قراءته للنص الديني انطلقت من "مبدأ عدم تقديس التاريخ، لأن الثابت الوحيد هو القرآن"، وأنه "لا يرفض السنة النبوية لكنه يعتقد بوجود أشياء يمكن التراجع عنها"، مشيراً إلى أن "القراءة التقليدية للنص الديني تركت غالباً على شرح النص واستنباط أحكامه، فيما القراءة العملية تبحث في مظاهر تشكله وقيمه الإنسانية وأسئلة الإنسان وحاجاته، كما أن المسلمين لا

صابر بليدي صحافي جزائري



امتلك الإعلامي السابق والباحث في شؤون الدين الإسلامي سعيد جاب الخير جراً كبيرة في طرح أفكاره وتصوراته المستجدة، رغم المناخ الاجتماعي والسياسي غير الملائم في بلاده، كما أبان عن قدرة لافتة على مواجهة التراث المتراكم، غير أن عدم الإلمام باليات وحجج رموز التيار التنويري في العالم العربي جعله يخسر مواجهاته ضد خصومه ويحشر نفسه دائماً في زوايا ضيقة.

أخذت المواجهة المفتوحة بين التيار الإسلامي المحافظ وبين جاب الخير منحى آخر أكثر إثارة للجدل، بعدما تم نقلها من الفضاءات العادية على صدر وسائل الإعلام وشبكات التواصل الاجتماعي إلى أروقة المحاكم، حيث ينتظر أن يتواجه الرجل مع خصومه في التيار السلفي.

وكان سبعة من المحامين المحسوبين على التيار الإسلامي المحافظ قد تطوعوا للدفاع عن الدعوى التي رفعها الأستاذ الجامعي بشير بويجيرة عبدالرزاق، والتي تضمنت عدة تهم وجهت لجاب الخير الباحث في علم التصوف، وتمثل في "الاستهزاء بالمعلوم من الدين بالضرورة وبشعائر الإسلام والتهمك على آيات من القرآن الكريم وعلى أحاديث صحيحة من السنة النبوية وعلى ركن الحج وشعيرة الأضحية".

## فهم الدين خارج سياق التاريخ

جاء ذلك كله بعد أن أثار جاب الخير جدلاً صاخباً بسلسلة كتابات وتصريحات، كان أبرزها دعوته إلى تنظيم فعاليات موسيقية في المساجد، واعتبار الحج وزيح الأضحية طقوساً وثنية، فضلاً عن نشر تغريدات عن النبي محمد، كتب في إحداها "إذا كان النقد الديني خطيئة، فلماذا كان الرسول ينتقد دين قريش؟".



● المواجهة المفتوحة بين الإسلاميين وبين جاب الخير تتخذ منحى آخر أكثر إثارة للجدل، بعدما تم نقلها عبر الشارع ووسائل الإعلام إلى أروقة المحاكم.